الآراء الـــواردة فـي الـصفـحـة تعبر عـن وجـهـات نـظـر كـتـابـهـا ، وقـد لاتـتـفـق بـالـضـرورة مـع وجـهـة نـظـر الـجـريـدة

الأمـــل في ولادة الـــعـــراق مـــن جـديـد

سمير شاكر الصميدعي

"عندما تدخلت الولايات المتحدة في العراق عام ٢٠٠٣ لم يكن الامريكان على دراية جيدة بهذا البلد. فقد كان دهاقنة السياسة ميالين الى فهم العراق على نحو ساذج بتقسيمه الى فئات بسيطة: اغلبية شيعية مضطهدة، اقلية سنية مرتبطة بنظام صدام حسين، واكراد ليس لهم اهتمام بالبقاء في العراق. وغالباً ماكانوا يصورون بأن هذه الفئات المفترضة متجانسة وتتعايش فيما بينها في حالة من الصراع والعنف الدائمين.

لقد حدثت تغيرات كثيرة منذ عام ٢٠٠٣. فقد برز العراق كمجتمع مركب ومعقد، ذي هويات متراكبة وولاءات ومصالح متنوعة، جميعها في حالة مستمرة من التغير، خصوصاً وان البلد يمر في حالة انتقالية جوهرية وغير منتظمة من مرحلة الدكتاتورية البحتة (عبر الاحتلال والعنف) الى مرحلة تؤشر بداية عهد الديمقراطية البرلمانية.

ان المفردات التي افرزتها الانتخابات المحلية الاخيرة يجب ان تقرأ في سياق هذا التحول، لأن ما اظهرته هو ابعد بكثير من مجرد مستوى التمثيل النسبي للاحزاب السياسية المختلفة، برغم ان ذلك بحد ذاته مهم و يستحق الدراسة بعناية. لقد اظهرت هذه الانتخابات اخيراً ان اولئك الذين رفضوا التغيير في العراق، وعقدوا العزم على دحره عن طريق إشاعة الفوضى باللجوء الى العنف، ادركوا انهم خسروا المعركة، وان العملية السياسية لا محيد عنها وانها ستستمر رغماً عنهم، وان من مصلحتهم ان يشاركوا فيها.

كما ان الذين جاءوا الى العراق لهزم الولايات المتحدة بالارهاب وحصلوا في البدء على دعم من قوى الرفض، قد رفضهم الشعب العراقي اجمعه. لقد فشلت ستراتيجيتهم بإذكاء نار الحرب الطائفية، وبالرغم من انهم مازالوا يهددون الوضع الأمني، الا ان هؤلاء الاسلاميين المتطرفين انهزموا في بلد مسلم هزيمة ستراتيجية شاملة، وهذا بحد ذاته تطور خطير.

اما اولئك الذين ظنوا بأنهم يمكن ان يستبدوا بالبلد ويخلقوا صيغة جديدة من الدكتاتورية خلف قناع من الديمقراطية فقد اكتشفوا بأن عليهم القبول بمبادئ المشاركة في السلطة.

علاوة على ذلك، اثبتت الانتخابات خطأ اولئك الذين ادعوا بأن العراقيين لا يمكن ان يفهموا الديمقراطية ولذا فإنهم لن يلتزموا بقواعدها واصولها. لكن العالم شاهد ملايين العراقيين وهم يلوحون باصابعهم الارجوانية، ويفصحون عن رغبتهم بإختيار قادتهم، كما اظهر القادة انفسهم بأنهم اهل للتأقلم مع الظروف قادرين على التوصل الى تفاهمات وتقديم تنازلات للوصول الى حلول مشتركة.

ان هذا لايعني ابداً ان العراق قد حقق صيغة مثالية من الديمقراطية، فالطريق مازالت طويلة، ومازال امامه تحديات داخلية وخارجية هائلة، لكنه يعني ان العراق، بعد هزيمته المتطرفين والارهابيين المتغلغلين بين صفوف شعبه، ورفضه للطائفية، وتوقه للبقاء موحداً، عازم على الحفاظ على كل ماحققه بمساعدة الولايات المتحدة والآخرين.

لقد برهن العراقيون على استقلاليتهم ووحدتهم في اخطر مراحل تلك التجربة الانتقالية، وقد اعطاهم هذا ثقة اكبر في مستقبلهم. اما اولئك الذين اعتقدوا بأنهم يستطيعون السيطرة على العراق من الخارج على نحو مباشر او غير مباشر فقد ادركوا جيداً بأن تأثيرهم سيبقى محدوداً دائماً.

اما عن المستقبل، فإن سرعة سحب القوات الامريكية يجب ان تحدده مشاورات بين القادة السياسيين والعسكريين في البلدين وضمن سياقات الاتفاقية الامنية، مع ضرورة الانتباه الى ان الاهتمام الامريكي في العراق سيكون ضرورياً للحفاظ على ماتم تحقيقه من تقدم مع ان التركيز سيتحول من القضايا الامنية الى القضايا الاقتصادية والدبلوماسية.

ان لبلدينا مصلحة مشتركة في مستقبل العراق. ان نجاح العراق سيمثل بدوره نجاحاً كبيراً لسياسة الولايات المتحدة الخارجية. اذ إن عراقاً ناجحاً ومستقراً سيكون واحداً من اهم حلفاء وشركاء الولايات المتحدة. انها بداية عهد جديد في علاقتنا، بداية تفتح الطريق لشراكة اقتصادية وسياسية وثقافية ودبلوماسية مزدهرة وواعدة بمستقبل افضل.»

■ عن صحيفة واشنطن بوست

نـحـو تـوصـيـف سـوسـيـو-انـثـروبـولـوجـي لـلـمـثـقـفـيـن

علاء جواد كاظم

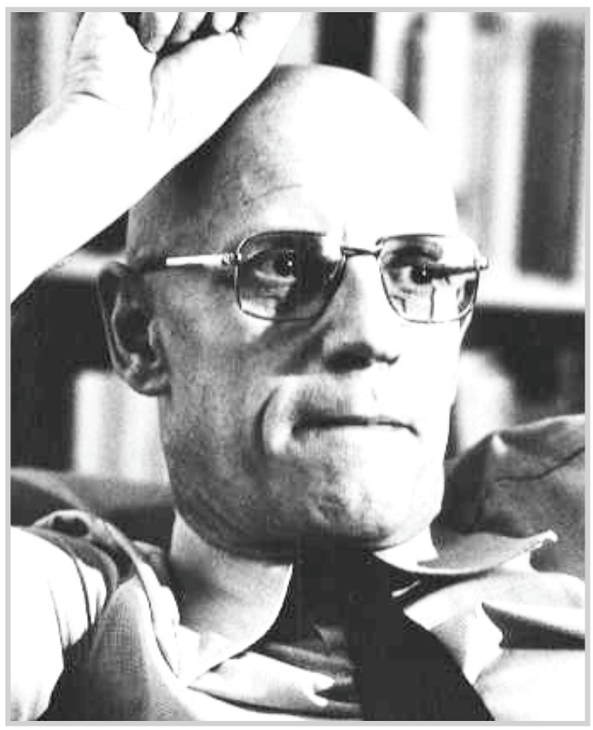

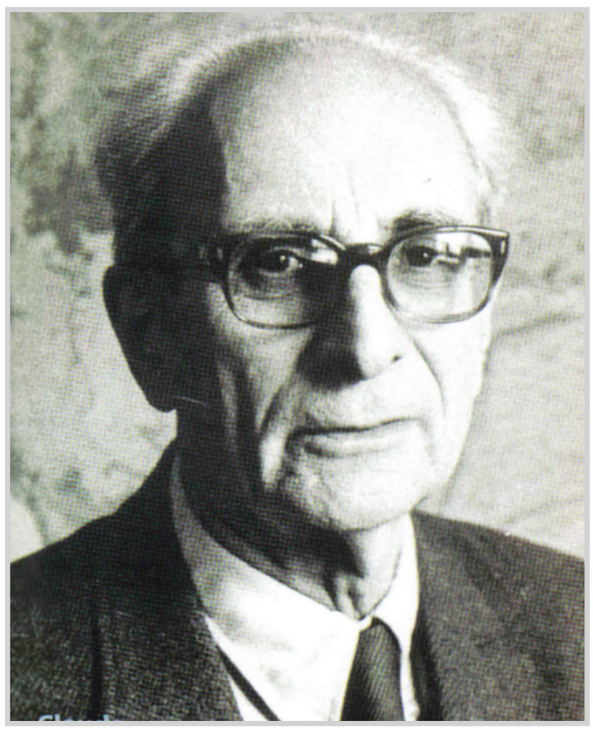

يشكل هذا الرصد ألانثروبولوجي لـولادة العقل الثقافي محاولة فهم قلقة جداً تبحث عن البدايات الاولى الـتـي تـسـجـل «الاقـتـلاع الشبيه بالفجائي» للانسان عن الطبيعة وتكون الذات التي ستعاني الاقتلاع من جديد والخـروج على اعمدة الحكمة الوجودية (الماهية ،المجتمع ، الدولة ،المطلق) التي يستمد منها معنى ما لـوجـوده بينما تستمد هذه الاعمدة منه وجودها برمته... فتصاب المحاولة بالذهول تختلط في ذاكرتها الاشياء .الاصل بالفصل. الموت مع الولادة، النهاية بالبداية : التساؤلات تأكل بعضها : من نحن .. لمانحن هنا على ظهر هذا العالم ..ماذا سنفعل بعد هـذا..؟ انها منظومة تـسـاؤلات قلقة : هكذا بالضبط اتخيل بدايات الوعي الانساني الاول للذات وكل اشكال التماهي والاذابة والازاحةالتالية لاكتشاف الذات الموجز بـ (الـوعـي..) :هذه الثورة الانسانية»المغدورة حتى النخاع حسب تعبير تروتسكي التي لم تتم ابداً «دوتشير» مسجلاً أول تاريخ للحزن في وعي الانسان لذاته «هذا القطاع المجهول» منا ،والصامت فينا حتى الموت ..والمشحون بالاحتجاج «الرمزي»على قسوة العالم وجبروته ... انها محاولة للامساك بناصية الفعل الثقافي لحظة الولاده والاصل تصورات إنسانية بريئة وتساؤلات خـجـولـة حـول مـصـيـرنـا في هـذا العالم..

إن ولادة الانسان المثقف او الحامل للعقل الثقافي «تمثل لحظة « تحول انثرو-سوسيولوجية بكل تفاصيلها في تاريخ التطور البشري الطويل هذه اللحظة ملزمة بأن تعترف بهذا الموقف الانساني المزق وأنجراحات الذات المنسوجة عليه في معركة البقاء للأصلح بأعتباره اشكالية «مخاضية « فحينما خرج الانسان من أحشاء الطبيعة،لم يكن لحظتها الإكائناً طبيعياً ،صرفاً ،ليس أنساناً على الاطلاق ...فالانسان أنما هو نتاج الانسانية والثقافة والتاريخ «وهذا متضمن في جوهر الانثروبولوجيا بأعتبارها العلم الذي يلاحق الانسان بأعتباره المخلوق الذي ينتمي الى العالم الحـيـوانـي في جـانـب كبير من «تأريخ العناء « التطوري الذي اهلكه ،لكنه أيضـاً الوحـيـد من الانواع الحيوانية كلها الذي أمتلك العقل وبـالـتـالي الـقـادر الـيـوم على انـتـاج الثقافة وابداعها على نحو مغاير يثير الدهشة والتساؤلات انها رؤية شتراوس بالضبط اذ ليس هنالك ثقافة الا بعد تجاوز الطبيعة والخروج عليها... ثمة حاجة ماسة اذاً لتوجيه الامور والابصار نحو البداية والخوض في تفاصيل هذا الركام من الاسئلة الكبيرة بأسئلة صغيرة جداً حول الاصل السوسيو-ثقافي للفوقيات الاجتماعية «ومنها المثقفون «و التي يمكن ان تفيد كثيرا في تحليل أشكال وأشكالية وجودهم في هـذه المجـتـمـعـات الانسانية والصراعات التي تنبض في قلب منظومتهم الاجتماعية وما ستؤول اليـه وتـعـبر عـنـه في المستقبل من تغيير على مستوى السطح او العمق في مجتمعاتنا المحطمة والمنتقلة من اشكال الحياة المتخلفة العفنة الى زعم الحداثه ومابعدها ...

من هذا قلنا : تشكل مقولة» المثقفون» نقطة انطلاق قلقة جداً لكنها بعد هذا الكشف تصبح نقطة خصبة « منتجة» خاصة حينما نتسلل سراً الى الماضي البعيد متسائلين عن أصلهم ومحاولة توصيفهم سوسيو-انثربولوجياً ومن ثم ما أذا كانوا يشكلون عند لقائهم او توحدهم طبقة اجتماعية او نخبة او فئة او جماعة او شريحة ..؟ و الدور الذي يمكن ان يناط بهذه «التكوينات» وبالتالي الوظيفة الملقاة على عاتقهم على اعتبار انهم تكوينات أجتماعية مبدعة للثقافة وحاملة للتاريخ...على حد تعبير كروبير؟

ان البـحـث في أصـل «المثقفون» التاريخي والـثـقافي يحيلنا دائما الى الغرب وليس من ناقش الاصل التاريخي للمثقفين من العرب الاالقلة القليلة التي لخص رؤيتها المعرفية الدكتور خليل احمد خليل الذي طالما ركز في قراءته «مستقبل العلاقة بين المثقف والسلطة «معتبراً ان «سيف بـن ذي يـزن –جدنا الـثـقافي « ولم ينس ابداً ان «شهرزاد هي أم الثقافة ،انها الثقاقة العربية او الاسلامية التي دخلت معركة الوجود بلسانها وجسدها الثقافيين»!؟ هذه الرؤية الـتـي سـنـتـرك مناقشتها الى مقال اخر..

وسنحاول الان تسليط الضوء على بعض المصادر التاريخية في أوروبا التي انبثق المثقف المعاصر عنها.. وقراءتـهـا ومناقشتها بأعتبارها فرضيات معرفية مطروحة للبحث والتحقق والتامل من قبل المتخصصين في اصل الثقافة وسوسيولوجيا المثقفين نتناولها بايجاز وتلميح بمقدار ما يتيح لنا بناء تصور أو رسم صورة المثقف المعاصر استنادا الى مصادرها الاصلية في قراءة أخـرى حـول تـوصـيـف المثـقـف من وجهة نظر سوسيولوجية « ...منها الذي اعتبر ان قضية درايفوس على أعتبارها المصدر الفرنسي للثقافة والمثقفين في العالم ورغم انتشار وشهرة هذا المصدر بين الكثيرين من باحثي العالم المتقدم لكني والحق أقول لا أعرف حتى هذه اللحظة لماذا أصر الباحثون بأختلاف موجهاتهم النظرية أعتبار قضية درايفوس اصل المثقفين: لان «القضية المفروغ منها انه قد مر اكثر من قرن على وجود المثقفين، كما ا ن اهل الاختصاص اجمعوا في غالبهم على التأكيد ان المثقفين قد ظهروا بمناسبة قضية دريـفـوس»١٨٩٤-١٨٩٩ « على حد وصف ليكلرك الاحصائي والتاريخي في سوسيولوجيا المثقفين....وأظن ان ليكلرك جافى الحقيقة حينما جعل من موقف أميل زولا بكل تفاصيله وضبابيته فعلا ولحظة اولى في ولادة المثـقـف المعاصر «مـفـهـوم و دلالة «من رسالته» اتهم «التي نشرها في احدى الصحف الفرنسية انذاك وعدت بيان تعميد للثقافة الفرنسية برمتها لكنه مع ذلك ليس البيان الأول لـولادة المثقفين في العالم .والغريب في الامر أن الحاح ليكلرك على قضية درايـفـوس تجعلنا أمـام ملاحظة تـأريـخـيـة مهمة جـدا هـي انّ أميل زولا لم يكن في فرنسا اصلاً طيلة محاكمة الضابط درايفوس بدليل أنه كتب عام ١٨٩٧ من ايطاليا يقول :» كنت في تلك الاثناء في روما ولم ارجع الى فرنسا الا في ١٥ كانون الاول١٨٩٧.لم اكن اطالع كثيرا من الصحف الفرنسية. وهذا ما يفسر حالة الجهل واللامبالاة التي اقصتني عن تلك القضية.ولم تثر هذه القضية اهتمامي عن كثب الا عندما رجعت الى قريتي.عندها فقط شغلت خاطري تلك القضية وأفادتني الظروف على الاطـلاع على بعض الوثـائـق التي نشرت فيما بعد وكانت كافية لاقناعي ببراءة المتهم ..» اذا الصدفة وحدها هي المسؤولة عن اطلاع أميل زولا على تـفـاصـيـل الـقـضـيـة وشروعه بالعمل ... هذا من جهة أما من جهة اخرى فأن هذه الفرضية تبدو متعبة عندما نفكر في البحث عن الجذور المعرفية والفلسفية للنخبة الثقافية المعاصرة في فرنسا أمثال (سارتر ،ميشيل فوكو ، جـاك دريـدا ،بيار بـورديـو ،جـان جينيه ، بسيمون دي بـوفـار.....و....) لم تكن قضية درايفوس ابداً مصدرا العبقرية هؤلاء الـثـقـافـيـة وخـلـفـيـتـهـم المعـرفـيـة .... اما اذا افترضنا مع جيرار ليكلرك ان عمرالثقافة الفرنسية مئة عام بأعتبارات تلك القضية فتلك مصيبة حقيقية لاننا سوف نتساءل فورا كم هو عمر الثقافة العراقية اذا....!؟

أما»الانتلجانسيا « الروسية او المثقفون بالمعنى الروسي بأعتبارها المصدر الثاني للمثقف المعاصر اليوم فتحيلنا الى تـاريـخ الإمبراطورية الـقـيـصـريـة الـثـقـافي والسياسي وإصـلاحـات بطرس الاول ودوره الكبير في تحديث روسيا وتطويرها وترسيخ تقاليد المركزية الشديدة للسلطة والدولة فيها أما الذي يعنينا في هـذا المـجـال هـو مـاأفـرزتـه هـذه الإصـلاحـات من اشكاليات ثـقـافية وتأريخية و انعكاس ذلك على الوعي النظري التاريخي للقرنين (١٨-١٩) ..في روسيا اذ تـعـرض رادشيف (١٧٤٩-١٨٠٢)وهـو الاب الروحي للفلسفة الروسية انذاك لحكم الاعدام بسبب آرائـه المعروضه في كتابه الشهير «رحلة من بطرسبورغ الى موسكو»بينما اتهم تشاديف(١٧٩٤-١٨٧٦)نتيجة آرائـه المعارضة في كتابه(رسائل حول فلسفة التاريخ) أما حياة هيرتسن(١٨١٢-١٨٧٠) وجماعته خاصة باكونيين(١٨١٤-١٨٧٦) فـقـد سـجـلا نـمـوذجـا حـيـاً للمواجهة العنيفة ضد الاستبداد بحثا عن الحرية فتعرضا للسجن والنفي فقضى هيرتسن معظم حياته غريباً مهاجراً بعيدا عن روسيا..اما باكونين فقد واجه حكم الاعدام للمرة الاولى في محكمة سكسونيا ثم امام المحكمة العسكرية النمساوية وذات الدورة الـتـي استكملها تشيرنيشفسكي (١٨٢٩-١٨٨٩) في ذاته عندما حول سجنه ونفيه الى ميدان ابداع فكري توجه بروايته (ما العمل؟) باعتبارها بحثا عن الخلاص العقلاني لإشكالية الوجود التاريخي لروسيا وأجابة على السؤال التاريخي الذي صاغه هيرتسن في مؤلفه «من المذنب ؟»... ويعد هذا تصنيفا منطقيا الى حد ما من حيث ان الرفض بلا هوادة والشك بقداسة الحقيقة الرسمية والمؤسسة الرسمية وبـالـتـالي الـوقـوف موقف المعارض للدولة من قبل «المثقفون» يشكل اليوم احدى الخصائص المهمة جـدا في تعريفنا للمثقف و فهمنا لماهيته الفعلية .... فهؤلاء المثقفون حسب تـعـبـيـر هـربـرت مـاركـيـوز» يمـتـازون بـالـرفـض الـكـبـيـر والـنـفي والانـحـيـاز للشأن العام والتشكيك في الحقيقة الرسمية المتمثلة في السلطات والمؤسسات وفي الحالتين تضع الطبقة الفكرية نفسها بتماس مباشر وحميم ،صراعي الى حد ما مع الدولة او مع الطبقة السياسية المسيطرة كما تـدخـل في علاقات تقوم الى حد بعيد على المنافسة مع المؤسـسـات التقليدية « الكنائس ،الـجـامـعـة ،الـعـدالـة والـجـيـش «وبالتالي ظهور الشكل الاول للمثقف المعاصر وهو «الرافض «

لكننا نميل الى اعـتـبـار «جماعة هيغل الشباب ممثلة بكل من(دفيد شتراوس.D.straus ،لودفيج فيو ر ب اخ L.feuerbach الفيلسوف الـذي تغلب على هيغل كما يقول انجلز ليس بسلاح النقد ، بل طرحه جانباً كشيء غير صالح للاستعمال اطلاقاً والـذي اعتبره ماركس في الايديولوجيا الالمانية نـهـر الـنـار « لـيـس هـنـاك طريق للحرية والحقيقة سوى نهر النار ،فيورباخ مطهرة عصرنا « وشباب اخـريـن عـلـى شـاكـلـة ادجـار بـاور ..ولـودفـيـج بـول L.Bubl ماكس شتيرنر M.stirner،برونو باور B.Boure .....والاخـــيـرون كان قد دار بينهما نضال فلسفي" تأسيسي" طويل حول التمييز بين « ادراك الذات « وبين « الـذات « هذا النضال الذي س«يؤلف القوة الفاعلة الرئيسية في التاريخ العالمي « كما أشار ماركس نفسه) الاصل الحقيقي للمثقف المعاصر اليوم و الشكل الاول له بل انهم وفيورباخ بالاساس حقيقة هذا العصر «على حد وصف ماركس» .....وفي هـذا نـكـون أكـثـر دقة واطمئناناً في تشخيصنا لله «الاصل الاول للمثقف المعاصر» واعني تمثله للتقاليد الكبرى «المعيارية والقياسية للذات الثقافية التي يحملها ..؟وما لا شك فيه ان القبول بهذه الفرضية يفتح افاقا كبيرة وكثيرة امام المثقف المعاصر حـتـى مـن حـيـث البحث في خفايا الماهية والجوهر التي سيتبدد ضبابها التاريخي وتغدو عـمـلـيـة الـكـشـف اسـهـل كـثـيـرا عن الاسـرار الاولى للحياة الثقافية في عالمنا هذا ...وبالتالي يغدوا المشهد التاريخي لولادة « المثقفون « مشهداً متكامل ومنطقي وواقعي ايضاً لانه لايمكن ان يختلف اثنان حول قضية ان الفلسفة الالمانية ممثلة بـ(هيغل ،كانت ،نيتشه، شوبنهور، فخته ...» هي مصدر كل الاشكال الفلسفية المعاصرة ولا يختلف اثنان ايضاً على ان فلسفة هيغيل هي روح الفلسفة العالمية اليوم ومصدر كل الاشكال والاشكاليات الفلسفية اليوم .... وبالتالي فأننا لا يمكن ان نختلف على اعتبار ان هؤلاء»الهيغليون الشباب» هم مصدر الثقافة وأصل المثقفين وحتى الشكل الاول للمثقف المعاصر المانيا وفي فرنسا نفسهااو روسيا واوروبا برمتها ...

ولنتساءل الان من المثقف المعاصر في فرنسا .....؟ وما أصله الثقافي ؟والاجابة تحديداً ما جعلنا نعترض على فرضية جيرار ليكلرك المحيرة فعلاً حول اعتبار قضية درايفوس وبيان أميل زولا الاصل في ولادة المثقفون ..ثم الم يكن للفلسفة الالمانية وهيغل تحديداً « الاثرالحاسم في انتاج هذه النخبة من مثقفوا فرنسا مـن» سارتر الى فوكو ، دريـدا ، بورديو ،جينيه ،التوسير و.....و ؟ وهل لنا ان نتخيل ونفهم سارتر خـارج جـنـون كيركجارد وغرابة هوسرل وعنف مارتن هايدجر .. ..ومـن هـو الـتـوسـير الـيـس هو لودفيج فيورباخ بتخطيط فرنسي رومـانـسـي !؟ الم يـقـض الـتـوسـير سنين طوال منقباً عن مقولة « الماهية المـزدوجـة «لـفـيـوربـاخ ....؟ ومن ثورة لودفيج فيورباخ على الدين في»ماهية المسيحية «ومقاله»الله والحرية والخلود من وجهة نظر انثربولوجية «.. ويتنفس الصعداء من انقلابات العقل الديالكتيكي عند كـارل مـاركـس في « الايديولوجية الالمانية «

اذ يبدو ان حقيقة الفكر تكمن في ان (هيغل ، فيورباخ ، ماركس) ومن ثم الطوفان وقد يلوح ان هذا «محض جنون» لكن الثقافة الحقيقية اليوم وغدا وفي القادم من الزمن ولتكن «نبوءه « ستكون مسكونة بأشباح هيغل وفيورباخ وماركس بمعنى اننا قد نقرأ وهذا « ضرب من خيال «في صفحة ثقافة من احدى الصحف اليومية في احدى صباحات ٢٠٥٩ مقال لاحد مثقفينا حول «أثر فلسفة هيغل في فهم واقع الحراك السياسي على سطح القمر « مثلاً أو» انتشار خبر وفـات هيغل بـالـكـوليرا «وهو بالمناسبة خبر حقيقي. «

السياسي للاستبداد الديني او الشكل السياسي لتحقيق وظيفة «الالهة «وربمـا كـان يشيد بفلسفة فيورباخ حين اعتبر الدين والدولة هما مصدرا كل الشرور الاجتماعي ليس في فلسفة فيورباخ وحسب بل في كل واقع أجتماعي انساني ....

ان ولادة العقل لثقافي برمته حسب هـذا الرصد الانـثـر-ثـقـافي ووجـود المثقف المعاصربكل اشكاله يرتكزالى «فـيـنـومـنـولـوجـيـا الـذهـن «اعـمـق افكار فريدرك هيغل ويستند على

١- هربرت ماركيوز ، العقل والثورة ، ص١١٦- ينظر ايضاً جيرار ليكل ،سوسيولوجيا المثقفون، ،ص٦٠

«ان وعي الذات لا يمكن أن ينشأ الا حينما ينظر الفرد الى نفسه كما لو كان ينظر اليها من جانب آخر ،كما لو كان ينظر اليها بعيني إنسان آخر، ذات اخرى ،الا حينما يقيم تضايفاً بين افعاله الفردية وأفعال أنسان اخر ... ان وعي الذات ليس فعلاً سيكولوجياً محض،بل هي الموقف الاصلي للذات تجاه العالم. « فريدرك هيغل – فينومينولوجيا الذهن

اراء وافكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.
٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.
٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@ yahoo.com